Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

مجلس سيف الدولة وأشاعوا خبر موته . ولم يكن أبو الطيب يهتم – وهو في عنفوان شبابه ـ بهذه الترهات ، وتلك الأباطيل ، بل كان يحتقرها ، لأن ميدان صراعه النفسي والاجتماعي والفكري ، كان ممتداً ، وكانت أصوات المجد والطموح والرغبة في تسنم قمة الحياة ، تدوي في أذنيه فتُخفِتُ كل ما عداها .

وها هو ذا الآن يعيش في مصر منذ مدة طويلة توشك أن تكون خمسة أعوام . فقد خلالها الرغبة في المجد وتحقيق الأحلام . وهو يعيش في قفص من الذهب سجين ، بغير سجن ، طامح بغير طموح . راغب ـ في ولاية ـ دون أن تتحقق له الرغبة .

كانت هذه المدة فرصته في التأمل العميق ، ومراجعة خريطة أحلامه وأيامه . واختبار مواقفه ، وسبر رغباته ، والوصول إلى تصور جديد للحياة وطبيعتها ، والكون وانفساح آماده ، وترامي أبعاده . وتعرف حقيقي على الزمان وصروفه وأفاعيله .

وكانت هذه العملية التأملية حرية بأن تمنحه فلسفة جديدة . واقعية . وأن تصرفه عن أوهام المجد وشقاء الحياة . أو تصيبه بلون من التصوف والعزوف عن الدنيا .

ولكن جهاز أبي الطيب النفسي ، كان جهازاً مركباً تركيباً عجيباً . بحيث تختلط فيه الحكمة بالحزن ، بالطموح بالكبرياء ، تتجاور وتتصارع . وتتصادم كل هذه المعاني دون أن يستقر في النهاية على نزعة أو سجية تتغلب على النزعات الأخرى .

ويبدو أن الذي ضاعف هذه المشاعر عند أبي الطيب ، هو إحساسه بتبدد عمره ودنو أجله ، فاكتسبت شاعريته هذا الشجى النافذ الحزين .

وهذا المركب المتناقض من المشاعر والأحاسيس والأحزان والحكمة وبقايا الطموح والإحساس بالنهاية هو الذي جعل لشعر أبي الطيب ـ في مصر ـ مذاقاً خاصاً وطعماً مختلفاً عن شعره في كل البيئات التي عاش في ظلالها . وأكسبه – كما قلت – هذه الحكمة المتقدة المتسعرة ، وهذا الحزن المتأمل الحكيم . فلا عجب أن يخرج شعره على هذا النحو الهامس الحزين . وتتردد فيه تلك الاعترافات النفسية والاجتماعية والفكرية . وتأمل معي المشهد الأول من هذه القصيدة الشجية النافذة :

بـم التعلـــل لا أهــل ولا وطــــن   ولا نـــديـــم ولا كـــأس ولا سكـن